

روح المعاني

فصحاء العرب و تكرير النداء لما مر غير مرة وجمع الرسل مع أن المنادي هو واحد الآحاد وحده لما أن دعوته لا سيما على منبر التوحيد وما أجمع عليه الكل من الشرائع منطوية على دعوة الكل فتصديقه تصديق لهم عليهم السلام وكذا الموعود على لسانه E من الثواب موعود على لسانهم وإيثار الجمع على الأول لإظهار الرغبة في تيار فضل الله تعالى إذ من المعلوم أن الثواب على تصديق رسل أعظم من الثواب على تصديق رسول واحد وعلى الثاني لإظهار كمال الثقة بإنجاز الموعود بناءً على كثرة الشهود وتأخير هذا الدعاء بناءً على ما ذكرنا في تفسير الموصول ويكاد يكون مقطوعاً به ظاهر لأن الأمر أخروي .

وأما إذا فسر بالنصر على الأعداء كما قيل فتأخيره عما قبله إما لأنه من باب التحلية والآخر من باب التخلية والتحلية متأخرة عن التخلية وإما لأن الأول مما يترتب على تحقه النجاة في العقبي وعلى عدمه الهلاك فيها والثاني ليس كذلك كما لا يخفى فيكون دونه فلهذا أخر عنه وأيد كون المراد النصر لا الثواب الأخروي تعقيب ذلك بقوله تعالى : ولا تخزنا يوم القيامة لأن طلب الثواب يغني عن هذا الدعاء لأن الثواب متى حصل كان الخزي عنهم بمراحل وهذا بخلاف ما إذا كان المراد من الأول الدعاء بالنصر في الدنيا فإن عدم الإغناء عليه ظاهر بل في الجمع بين الدعاءين حينئذ لطافة إذ مال الأول لا تخزنا في الدنيا بغلبة العدو علينا فكأنهم قالوا : لا تخزنا في الدنيا ولا تخزنا في الآخرة وغيروا في التعبير فعبروا في طلب كل من الأمرين بعبارة للاختلاف بين المطلوبين أنفسهما وأجيب بأن فائدة التعقيب على ذلك التقدير لإشارة إلى أنهم طلبوا ثواباً كاملاً لم يتقدمه خزي ووقوع في بلاء وكأنهم لما طلبوا ما هو المتمني الأعظم وغاية ما يرجوه الراجون في ذلك اليوم الأيوم وهو الثواب ألفتوا إلى طلب ما يعظم به أمره ويرتفع به في ذلك لموقف قدره وهو ترك العذاب بالمرة وفي الجمع بين الأمرين على هذا من اللطف ما لا يخفى وأيضاً يحتمل أن يقال : إنهم طلبوا الثواب أولاً باعتبار أنه يندفع به العذاب الجسماني ثم طلبوا دفع العذاب الروحاني بناءً على أن الخزي الإهانة والتخجيل فيكون في الكلام ترق من الأدنى إلى الأعلى كأنهم قالوا : ربنا أدفع عنا العذاب الجسماني وأدفع عنا ما هو أشد منه وهو العذاب الروحاني وإن أنت أبيت هذا وذاك وأدعيت التلازم بين الثواب وترك الخزي فلنا أن نقول : إن القوم لمزيد حرصهم وفرط رغبتهم في النجاة في ذلك اليوم الذي تظهر فيه الأهوال وتشيب فيه الأطفال لم يكتفوا بأحد الدعاءين وإن استلزم الآخر بل جمعوا بينهما ليكون ذلك من الإلحاحواً تعالى يحب الملحّين في الدعاء فهو أقرب إلى الإجابة وقدموا الأول لأنه أوفق بما قبله صيغة ومن

الناس من يؤل هذا الدعاء بأنه طلب العصمة عما يقتضي الإجزاء وجعل ختم الأدعية ليكون ختامها مسكا لأن المطلوب فيه أمر عظيم والظرف متعلق بما عنده معنى ولفظا ويجب ذلك قطعاً إن كان الكلام مؤلاً أو كان الموصول عبارة عن النصر ويترجىل يكاد يجب أيضاً إذا كان الموصول عبارة عن الثواب وإحتمال أنه مما تنازع فيه آتينا ولا نخزنا على ذلك التقدير هو كما ترى إنك لا تخلف الميعاد 491 تذييل لتحقيق ما نظموا في سلك الدعاء وقيل : متعلق بما قبل الأخير اللازم له وإليه يشير كلام الأجهوري و الميعاد مصدر ميمي بمعنى الوعد وقيده الكثير هنا بالإثابة والإجابة وهو الظاهر وأما تفسيره بالبعث بعد الموتكما روى عن ابن عباسفصح لأنه ميعاد الناس للجزاء وقد يرجع إلى الأول وترك العطف